

طويلة، برز ظهرٌ ذو لون أبيض مبهر كانت حسكته الفقيرية مدببة ومنحنية، وذيل متكامل في شكله، أفقي، جبار... ها هو ذا!

«ها هو! ها هو!» كررت عدة أصوات مجتمعة.

في تلك اللحظة، وكأنما الحفش كله حرم من الهواء أو رغب في رؤية أولئك الذين يطاردونه، انبجست كتل بيضاء ثم عادت فاخفت مثرة رشات صقيعية.

في تلك اللحظة الوجيزة، أمكنني أن ألتقط تفصيلات من تعابير، ومن حركات أذهلتني غرابتها وجمالها الوحشي.

رائع ومفزز، برؤوس تشبه الخوذ الألمانية، ذات القبة الهابطة باستواء نحو مقدم هو الأنف. كان يبدو أعمى بالولادة، مثل دود أرضي أبيض هائل الحجم لأن عيونه متوضعة في موقع خلفي بعيد وجانبياً في حين أنها لا يبين منها من أمام سوى الجبهة الميتة، بلا تعبير وبعناد. شيء ما من إله الموج؛ وحين كان واحد، بمفرده أو بمجموعات تخرج، تنتصب كما يقول البحارة، لكي تتنفس ثم تعود فتسقط بتام كتلتها في الهاوية الخضراء، كان يخيل إليّ أنني أرى وحشاً كالسمندل أو كحيوانات العصور البدائية التي كانت تحتل الكوكب زمن كان غارقاً تحت المياه.

وكان سمك الحفش رائعاً؛ فجلدو مشدود مثل الحرير ومطاطي، ويقارب أن يكون كسولاً في جبروته وسرعته. كانت عنفاننا تدور بأقصى قدرتها، فها الحفشات تحرك بالكاد أجسامها وأذيالها، ورغم ذلك تحافظ على تقدمها.

كان هوس القتل الرهيب قد تملكني فطلبت بندقية ثقلت على يدي،